

الباحث التونسي الراحل عبدالله صولة

يرصد الحجاج في القرآن الكريم وخصائصه الأسلوبية

الوسط - محرر فضاءات

صدر عن دار الفارابي كتاب «الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية» للأكاديمي التونسي عبد الله صولة في 647 صفحة وناقش صولة الحجاج من خلال ثلاثة أبواب.

تناول صولة في الباب الأول المعجم القرآني خصائص كلماته وحركتها الحجاجية، هذا الباب قسمه إلى ثلاثة فصول في الفصل الأول تناول خصائص الكلمة الحجاجية بثلاثة مباحث، كان المبحث الأول حول الخصائص الاقتضائية، والمبحث الثاني: في خصائص الكلمة التقويمية وأبعادها الحجاجية، والمبحث الثالث: خصائص الكلمة التداولية وأبعادها الحجاجية.

وفي الفصل الثاني تناول صولة حركة الكلمة الحجاجية من خلال مبحثين المبحث الأول، رصد فيه حركة الكلمة الحجاجية بناء على خصائصها في اللغة من حيث الاقتضاء والتقويم وغيرها، وفي المبحث الثاني، رصد حركة الكلمة الحجاجية في القرآن بناء على خصائصها في التداول والاستعمال.

وفي الباب الثاني تناول صولة التركيب في القرآن: خصائصه ووجوه الحجاج فيه من خلال أربعة فصول في الفصل الأول: رصد العدول الكمي بالزيادة داخل الجملة وأبعاده الحجاجية، وفيه ثلاثة مباحث المبحث الأول، حول البعد المفهومي للعدول الكمي بالزيادة داخل الجملة والمبحث الثاني، البعد الاقتضائي للعدول الكمي بالزيادة داخل الجملة، أما الفصل الثاني فرصد فيه العدول الكمي بالزيادة بين الجمل وأبعاده الحجاجية وفي الفصل الثالث: العدول الكمي بالنقصان وأبعاده الحجاجية، وفي الفصل الرابع: العدول النوعي في القرآن وأبعاده الحجاجية.

ودرس صولة في الباب الثالث الصورة في القرآن: من حيث خصائصها ووجوه الحجاج فيها، عبر فصلين الفصل الأول: في مادة الصورة وأبعادها الحجاجية، وفيه مبحثان المبحث الأول، في مادة الصورة المنتزعة من المجال الحسي، والمبحث الثاني، مادة الصورة المستمدة من المقومات الثقافية والرمزية التي لفكر المتلقين أما الفصل الثاني: فدرس صولة فيه شكل الصورة في القرآن وأبعاده الحجاجية.

المسألة الأولى: ما الحجاج؟ وما نصيب القرآن منه؟

يرى بعضهم أن الحجاج في الدراسات الحجاجية على ضربين، ضرب أنت فيه لا تبرح حدود المنطق فهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة والاستدلال إذ هو يعنى بتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجة. وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ، يكاد كون هذا التقسيم من نافلة القول فأهم منه، فيما نحن منه بسبيل، أن نبحث في الحجاج من جهة علاقته بالجدل من ناحية وبالخطابة من ناحية أخرى،



الباحث عبد الله صولة

ففيما اطلعنا عليه، وإن كان غير كثير، وجدنا للحجاج ثلاثة مفاهيم على الأقل: مفهوم يجعله مرادفاً للجدل ونجده خاصة عند القدماء وبعض المحدثين العرب، ومفهوم يجعله قاسماً مشتركاً بين الجدل والخطابة خاصة وتجده عند اليونان (أرسطو على سبيل المثال) ومفهوم له في العصر الحديث في الغرب، وهو مفهوم أدق وأوضح وأعمق من المفهومين السابقين، ذلك لأن الحجاج قد أخذ شيئاً فشيئاً في الاستواء مبحثاً فلسفياً ولغوياً قائم الذات في العصور الحديثة مستقلاً عن صناعة الجدل من ناحية وعن صناعة الخطابة من ناحية أخرى.

وهذا المفهوم الذي للحجاج باعتباره مبحثاً لغوياً خاصة هو الذي سنعتمده في عملنا بعد أن ندخل عليه من التغيير ما يمكن أن يجعله أكثر ملاءمة لمنهج العمل وغاياته. وقد وقع اختيارنا على مصطلح الحجاج، مصطلح (Argumentation) في الفرنسية دون مصطلح الاستدلال (وكلمات استخدمناها في هذه المقدمة فصلنا به أساساً نوعه البرهاني ذلك الصادر عن مبادئ

كلية يقينية)، لأسباب أهمها أن «الحجاج» شأن مقابله الفرنسي المذكور، وإن وجد في المنطق وفي العلوم الشكلية عموماً حيث يرادف الاستدلال أو البرهان (La demonstration)، فإنه قد يوجد في أي خطاب فيه منازعة للرأي وخصومة سواء كان هذا الحجاج في شكل استدلال أو غيره. ثم إن كلمة الحجاج بحكم صيغتها الصرفية الدالة على معنى المشاركة في تقديم الحجج وعلى مقابلة الحجة بالحجة مؤهلة أكثر من كلمة الاستدلال لتؤدي مفهوماً مهماً جداً تقوم عليه النظرية الحديثة (L, argumentation) وهو مفهوم المناقشة والحوار. فظهر من ذلك أن الحجاج أشمل وأوسع من الاستدلال البرهاني الذي ظل رغم انتقاله بين علوم مختلفة يحافظ على حده المنطقي الأول فهو على العموم مجرد استنتاج قضية من أخرى، استنتاج لزوم وتوقف وضرورة. لهذا عد في نظرية الحجاج الحديثة نقيضاً للحجاج الذي ينطلق من مبدأ الحرية ويقوم على الحوار.

الحجاج بما هو مرادف

للجدل في اللغة والاصطلاح

الحجاج، لغة، من حاج. قال ابن منظور (ت 711هـ/ 1311م): «حاجته أحاجه حجاً ومحاجة حتى حجته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها (...) وحاجه محاجة وحجاجاً نازعه الحجة (...) والحجة الدليل والبرهان». فعلى هذا يكون الحجاج النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين

والحجج فيكون مرادفاً للجدل إذ حد الجدل حسب ابن منظور أيضاً: «مقابلة الحجة بالحجة». على أن ابن منظور يجعل الحجاج مرادفاً للجدل صراحة بقوله: «هو رجل محجاج أي جدل». الحجاج قاسم مشترك بين الجدل والخطابة:

إن الحجاج أوسع من الجدل فكل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلاً. فهو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، على سبيل المثال، من حيث إن الجدل والخطابة «قوتان لإنتاج الحجج» كما يقول أرسطو



غلاف الكتاب